

مقابلة في جملة الصلة: هل تقع شرطاً؟

للدكتور نهاد الموسى

تلقيت العدد المزدوج ٢٣-٢٤^(١) من مجلة مجمع اللغة العربية الأردني بإقبالٍ قد أعتيد، إقبالَ المستفيد. وقد أطرفني ذلك العدد من غير وجه.

ثم وقفت فيه على نظرات الأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائي في كتاب الأمل والمأمول المنسوب للجاحظ بتحقيق الدكتور رمضان شيشين، فهياً لي بلمحاته وملحوظاته متاعاً لطيفاً.

وقد استوقفني في تعاليق الأستاذ السامرائي بضعة مواضع إلا أنّ واحداً منها ظلّ يلحّ عليّ حتى رأيت أن أقيسَ الأستاذ فيه استزادة وتحققاً.

فقد أورد الأستاذ^(٢) قول المؤلف في الصفحة التاسعة^(٣): "... والمجد في التماس ما هو به أعذر من التجافي عما إن فاتّه قعد به عن مرتبة أهل الفضل ودرجة ذوي المروءة" فأنكر الأستاذ على المؤلف أن جاء بالصلة، صلة "ما" جملة شرطية، ورأي الأستاذ أنّ "الوجه أن يقال: والمجد في التماس ما هو به أعذر من التجافي عما قعد به عن مرتبة أهل الفضل ودرجة ذوي المروءة إن فاتّه"، وقرّر الأستاذ عقب ذلك أنّ تقديم الفعل "قعد"، وهو جواب الشرط في كلام المؤلف، متطلب؛ لأنّ التقديم يجعل هذا الفعل صدرًا لجملة الصلة للموصول "ما". وشرط

(١) السنة السابعة، ربيع الأول - رمضان ١٤٠٤هـ، كانون الثاني - حزيران ١٩٨٤م.

(٢) ص ١٣٩ من العدد المزدوج ٢٣-٢٤ المذكور في صدر هذه المقابلة.

(٣) من كتاب الأمل والمأمول.

جملة الصلة أن تكون خبراً لا إنشاء. وهذا يعني أننا لو أبقينا على نص المؤلف
لكانت جملة الصلة إنشاء وهي جملة شرطية (إن فاته قعد)، وهذا ممتنع، وقد ورد
هذا كله في المظان النحويّة".

والتغيير الذي يرى الأستاذ إجراؤه في كلام المؤلف من نص الكتاب يمثّل
جراءة تتجاوز المتعارف من أصول التحقيق؛ إلا أن يكون حاشية يعلّقها المحقّق
خارج المتنّ.

ثم إنّ تصويب الأستاذ السامرائي لعبارة المؤلف فيه نظّر؛ إذ مؤداه أن جملة
الصلة لا تقع شرطاً وأنّ مجيء الصلة جملةً شرطيةً ممتنع.

وذلك أنه يُردّ على الأستاذ السامرائي من شواهد التنزيل: (تبارك الذي إن
شاء جعل لك خيراً من ذلك)^(١)، (والذين إذا أنفقوا لم يُسرفوا ولم يَقْتَرُوا)^(٢)،
(والذين إذا ذُكِّروا بآيات ربّهم لم يخروا عليها صماً وعمياناً)^(٣)، (إنّما المؤمنون
الذين إذا ذُكِرَ الله وَجِلَّت قلوبهم)^(٤)، (ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا
أجد ما أحملكم عليه تولّوا وأعينهم تفيض من الدمع)^(٥)، (ومن أهل الكتاب مَنْ إن
تأمنه بقطار يؤدّه إليك، ومنهم مَنْ إن تأمنه بدينار لا يؤدّه إليك، إلا ما دمت عليه
قائماً)^(٦)، (الذين إن مكّناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا
بالمعروف ونهوا عن المنكر)^(٧)، (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً

(١) سورة الفرقان، الآية ١٠.

(٢) سورة الفرقان، الآية ٦٧.

(٣) سورة الفرقان، الآية ٧٣.

(٤) سورة الأنفال، الآية ٢.

(٥) سورة التوبة، الآية ٩٢.

(٦) سورة آل عمران، الآية ٧٥.

(٧) سورة الحج، الآية ٤١.

خافوا عليهم^(١)، (الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون)^(٢)،
(والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله)^(٣)، (الذين إذا ذكر الله وجلت
قلوبهم)^(٤)، (الذين إذا اکتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم
يخسرون)^(٥)؛ إذ وقعت جملة الصلة فيما تقدّم من الآي جميعاً، شرطاً غير
مُلتبس.

وغريبٌ ما قرّره الأستاذ السامرائي في ختام تعليقه إذ قال: ... وهذا ممتع،
وقد ورد هذا كلّه في المظانّ النحويّة.

وذلك أنّ الأستاذ تَرَكَ أن يدلّنا على مَوْرِد هذا الحكم في تلك المظانّ، ولم
يذكر شيئاً منها على التعيين. بل إنّ التماس حكم هذه المسألة في المظانّ النحويّة
يُفضي بنا إلى خلاف ما قرّر الأستاذ. ومن التريّد الإفاضة في ذلك بعدّ الذي تقدّم
من شواهد التنزيل؛ فلتجزيّ بما ساق المبرّد في المقتضب عند كلامه على هذه
المسألة، وذلك قوله: "... وقد أعلمتك أنّ (الذي) يوصل بالفعل والفاعل، وبالابتداء
والخبر، والظرف، ولا بُدّ في صلة (الذي) من راجع إليه يوضّحه، فإذا قلت: رأيت
الذي قام، فاسمه في قام، وكذلك: رأيت الذي في الدار. فإذا كان الاستقرار والقيام
لغيره قلت: رأيت الذي في الدار أبوه، ورأيت الذي قام صاحبه. على ذلك يجري
كذلك: رأيت الذي إن يأتني آتِه؛ لأنّ المجازاة جملة، وفيها ما يرجع إليه"^(٦).

(١) سورة النساء، الآية ٩.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٥٦.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٣٥.

(٤) سورة الحج، الآية ٣٥.

(٥) سورة المطففين، الآيتان ٢، ٣.

(٦) المقتضب ١٣٠/٣.

مرجياً أن تكون هذه المقابسة من تمام الفائدة بتعاليق الأستاذ، مزجياً له
التحية الخالصة.

د. نهاد موسى

(الجامعة الأردنية)